وسئل رضي الله عنه
في الذكر والدعاء

فى الذكر

لقد حث الله سبحانه وتعالى على الذكر فى كثير من آيات القرآن وأمر به ورغّب فيه ، وأعد للذاكرين الله كثيراً مغفرة لذنوبهم ، وأجراً عظيماً فى آخرتهم ، فضلا عن الاطمئنان النفسى الذى يصاحبهم دائماً فى حياتهم ، قال تعالى : (يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً،وسبحوه بكرة وأصيلا) . وقال : (واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) .

وقال : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) . ولقد ذكر الرسول ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، رجلا ذكر الله خالياً ففاضت عيناه .

وروى البيهقى فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب : قال الله عز وجل : من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين .

وروى البخارى ومسلم وغيرهما بإسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » .

وذكر الله هو حياة النفوس والقلوب كما ورد عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « مثل الذى يذكر الله والذى لا يذكر الله مثل الحى والميت » إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة التى تشير إلى فضل الذكر وأجر الذاكرين ، وليس الذكر محصوراً فى عدد معين بل هو متروك يأتى منه كل محب للاستزادة من الخير بقدر الوسع والطاقة ولا يغفل أى لحظة من لحظاته عن ذكر الله واستشعار عظمته ، كما ورد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت : أى الأعمال أحب إلى الله قال : أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله .

وكما روى الترمذى أيضاً : عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه ، أن رجلا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علىّ فأخبرنى بشىء أتشبث به قال : لا يزل لسانك رطباً من ذكر الله .

وما زاد على السبعين يعد فى العرف من الذكر الكثير .

عن أبى موسى الأشعرى قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة فجعلنا نصعد شرفاً – مكاناً عالياً – ولا نعلو شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير قال : فدنا منا فقال : يأيها الناس أربعوا على أنفسكم (اشفقوا بأنفسكم) فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً ، إن الذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته .

أخرجه الإمام أحمد والإمامان : البخارى ومسلم .

وفى هذا الحديث نلمح المراد من الآية الكريمة . . أنها دعوة إلى التأدب فى الدعاء وترك الجهر الزائد بالصوت فيه لقوله تعالى : (ادعوا ربكم تضرعاً وخُفية إنَّه لا يحب المعتدين) . والآية تبين السبب فى ذلك ، إن الله تعالى قريب قرباً معنوياً من الداعين ، إنه أقرب إلى الإنسان من كل ما يتصور ، يقول تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) .فعلى الإنسان أن يستشعر قرب الله تعالى وأن يتوجه إليه بكل جوارحه ومشاعره وأن ينزل به حاجاته فهذا هو السبيل الوحيد للنجاح .

والآية بعد هذا وقبله تدعو المؤمنين إلى الدعاء ، وتحمل رحمة ربانية مباركة من الله إلى عباده حيث ندبهم إلى عبادته ودعائه ، ووعدهم بالثواب العظيم والإجابة وذلك وحده طريق الرجاء .

وهذه الآية الكريمة تتوسط آيات الصيام ، وذلك أن الله سبحانه جمع آيات الصيام فى مكان واحد من سورة البقرة ويتلو الإنسان هذه الآيات فيفاجأ بهذه الآية الكريمة : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب . .) تتوسط آيات الصيام ولله سبحانه وتعالى حكمة فى ذلك ، إنه سبحانه يشير بذلك إلى أن استجابة الدعاء تتحقق بتقوى الدّاعى ، وأنه لابد للاستجابة من التقوى ، وذلك أن حكمة الصوم هى أن يقود الصوم الإنسان إلى التقوى (يأيها الذين آمنوا كُتِب عليكم . . . . إلى (تتقون)•

فالصيام إذاً من وسائل استجابة الدعاء ، وإذا قاد الصيام الإنسان إلى التقوى تحقق ما قاله الله تعالى فى آية الدعاء كشرط من شروط استجابته .

(فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

فى الدعاء بالأسماء الحسنى

يقول الله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) ويقول تعالى : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) فى هذه الآيات الكريمة يبين الله سبحانه أنه شرع الدعاء بأسمائه الحسنى . ويقول سبحانه : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) . وقد بين سبحانه فى هذه الآية وفى غيرها أنه يجيب دعوة الداعى ، وأنه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، ولقد بين الله سبحانه – بما لا لبس فيه ، أن الاستغفار من أسباب السعة فى الرزق ومن أسباب زيادة القوة فضلا عن فوائده فيما يتعلق بالمغفرة والرحمة ، وقد ورد فى الأخبار الصحيحة قراءة الفاتحة من أجل شفاء المريض ، وورد فى الأخبار الصحيحة نصيحة رسول الله ﷺ لبعض المرضى باستشارة الأطباء ونصح بعضهم الآخر بشرب عسل النحل . ولكن لم يرد فى الأخبار الصحيحة كتابة أسماء الله الحسنى فى لوح ثم غسله بالماء وشرب الماء طلباً للرزق أو كشفاً عن الأمراض ، ولم يرد ذلك عن رسول الله ﷺ من طريق صحيح .

ومع ذلك فإنه لم يرد ما ينهى عن ذلك فى القرآن ولا فى السنة الصحيحة ، وقد ورد قوله تعالى : (وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) فالقرآن شفاء بأوسع معانى الشفاء ، ورحمة بأوسع ما فى الرحمة ، فإذا كتب بحبر طاهر غير مضر بالبدن وغسل بماء نقى غير مضر بالبدن وشرب فإن ذلك غير محرم ، ولا يأثم فاعله ولم يرد ما يحرمه ، ولعل حالة المريض النفسية تتأثر بذلك فيكون مساعداً على الشفاء كما هو معروف عند علماء النفس من أن للحالات النفسية صلة مؤكدة بالأمراض .

فى الشكر فى الجو الإسلامى

معنى الشكر فى الجو الإسلامى يتكون من جملة عناصر .

أولها : معرفة النعمة ، وأنها من الله سبحانه (وما بكم من نعمة فمن الله) .

ثانيها : استعمال النعم فيما أحبه الله وقصده بها .

ثالثاً : حمد الله سبحانه وتعالى عليها باللسان .

فإذا ما تمت هذه العناصر كان الشكر ، وما من شك فى أن الإنسان مغمور بنعم الله تعالى ، يقول سبحانه : (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) ، وأن هذه النعم إنما أتت للإنسان عن طريق وسائط مسخرة لله تعالى .

وأفضل الشاكرين هو رسول الله ﷺ .

وإذا كانت حقيقة الشكر هى استعمال النعم فيما أحب الله سبحانه فإن الحمد هو التعبير اللسانى عن الشكر ، والحمد كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق .

والإنسان بإزاء النعمة على أنواع :

ومن هذه الأنواع : أن يتلقى النعمة فيفرح بها لذاتها ، كما يفرح التاجر بالمكسب ، لأنه مال أتاه ولأنه زيادة فى ثروته ولأن تجارته ستصبح بهذا المكسب أوسع ، ولا ينظر فى كل ذلك إلى مصدر النعمة ولا إلى مانحها وموهبها الذى لو شاء لأمسك ولو شاء لمنع ، وهذا ليس له فى الشكر نصيب ، حتى ولو لم يستعمل هذا المكسب فى المعاصى ، لأن نظره لم يتعد النعمة ويتجاوزها إلى المنعم .

ومن هذه الأنواع أيضاً : أن يتلقى الإنسان النعمة فينظر إليها على أنها دليل رضا من الله سبحانه ، وينظر إليها على هذا الوضع ويشكر الله سبحانه وتعالى عليها وهذا داخل فى معنى الشكر . بيد أن الشكر التام الكامل أن يضيف الإنسان إلى فرحه بالنعمة كدليل على رضاء الله استعمالها فيما أحب الله وفى القرب منه سبحانه ، فإذا ما نظر الإنسان إلى النعمة على أنها من الله سبحانه وتعالى وحده وإذا ما استعملها فيما يرضى الله ورسوله ويقرب منهما فإنه ينطبق عليه المعنى الحقيقى .

فى فائدة الشكر بالنسبة للفرد

إن شكر الله سبحانه وتعالى إنما يكون على نعمه وقد وعد الله الشاكرين وعداً مؤكداً أن يزيدهم من نعمه إذا شكروه سبحانه عليها ، يقول سبحانه : (لئن شكرتم لأزيدنكم) .

وقد وعد الله سبحانه الشاكرين ، الجزاء الحسن فقال تعالى : (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين) ، أى جزاء كبيراً حسناً ، ويقول سبحانه : (وسيجزى الله الشاكرين) :

سيجزيهم سبحانه بالزيادة فى الدنيا فيزداد الغنى الشاكر غنىً ويزداد القوى الشاكر قوة وهكذا . . . وسيجزيهم خيراً ورضاً فى الآخرة .

فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون ، فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة ، قيل ومن الحمّادون ؟ قال الذين يشكرون الله على كل حال :

ففائدة الشكر بالنسبة للفرد ليست مقصورة على الدنيا دون الآخرة ولا على الآخرة دون الدنيا : وإنما هى فى الدنيا والآخرة .

فى فائدة الشكر بالنسبة للمجتمع

فائدة الشكر بالنسبة للمجتمع ظاهرة ظهوراً واضحاً من تعريف الشكر : وذلك أن جوهر الشكر هو استعمالُ نعم الله فيما أحب الله .

فإذا استعمل المنعَمُ عليهم النِّعم فيما أحبَّ الله فإننا نرى فى المجتمع التاجر الصدوق ، والعامل المتقن ، والصانع يراعى الله فى صنعته ، والغنى يؤدى حق الله فى ماله من زكاة ومن صدقة ، وصاحب الجاه ينفق من جاهه عوناً للمظلومين يبتغى بذلك شكر الله على نعمة الجاه .

ونرى المدرس مربيًا لا مُعلِّماً فحسب ، والحاكم أباً للجميع لا طاغية متحكماً ، والرئيس أخاً لمرءوسيه ، والمرءوسين متعاونين من رئيسهم لمصلحة العمل والوطن .

ونرى كل راع يتحمل المسئولية بالنسبة لرعيته شكراً لله على أن استرعاه وجعل له ثواباً على حسن الرعاية .

ثم نرى نتيجة الشكر فى المجتمع وهى زيادة النعم : (لئن شكرتم لأزيدنكم) .

فى ما هو مفهوم العبارتين : لا حول ولا قوة إلا بالله ولا إله إلا الله وما أثر مفهومها على الإنسان وتصرفاته ؟

مفهوم لا حول ولا قوة إلا بالله ، أى لا تحوّل من حال إلى حال ولا انتقال من فعل إلى فعل ولا قدرة لعبد على عمل من الأعمال إلا بالله سبحانه ، فهو سبحانه الذى يعينه وهو الذى يتمم له عمله ، ويبلغ به نهاية تمامه ، وهو كنز من كنوز الجنة . قال ﷺ : لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة ، وإذا ما أكثر الإنسان منها أشعرته عدم الغرور بنفسه ، فلا ينسب إليها شيئاً مما تفضل الله به عليه من توفيق ، فيتواضع ويلجأ إلى الله فى كل صغيرة وكبيرة . ولهذه العبارة

أثرها الضخم فى الشجاعة الأدبية والشجاعة الحسية ، لأن مَن كان شعاره : لا حول ولا قوة إلا بالله لا يخاف ولا يجبن وهى من غراس الجنة .

ولقد روى الإمام أحمد وغيره ، عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به مرَّ على إبراهيم ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، فقال : من معك ياجبرائيل ؟ قال هذا محمد ، فقال له إبراهيم ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : يا محمد مُرْ أمتك فليكثروا من غراس الجنة ، فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة ، قال : « ما غراس الجنة » ؟ قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وروى الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من قال لا حول ولا قوة إلا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهمّ .

أما لا إله إلا الله فمعناها لا معبود بحق إلا الله ، فكل عبادة لغيره باطلة .

ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى وحسّنه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ما قال عبد لا إله إلا الله قطُّ مُخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى إلى العرش .

فى الإذن بالذكر

بعض أنواع الذكر لايحتاج إلى تلقين أو إذن من ذلك الاستغفار لقوله تعالى : (فاعلم أنه لاإله إلا الله واستغفر لذنبك) وقوله تعالى (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) .

ومن ذلك ، الذكر بلا إله إلا الله ، لقوله صلوات الله عليه : أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى « لاإله إلا الله » .

ومن ذلك الصلاة على النبى صلوات الله تعالى وسلامه لقوله تعالى (إنّ الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا) .

ومن ذلك نعلم أن دلائل الخيرات لاتحتاج إلى تلقين ولاإلى إذن ، إذا كان الإنسان يجيد القراءة ، لأنها صلوات على رسول الله ﷺ ، وقد أمرنا الله تعالى فى كتابه الكريم بالصلاة عليه والسلام .

فى الذكر بصوت مرتفع

إن عادة قيام الناس بالذكر بصوت مرتفع فوق مساجد القاهرة يوم الجمعة وليلتها كما يقول السائل عادة غير شائعة . ولو وجد ذلك لكان جائزًا ، بل أمرًا محبوبًا ماداموا يذكرون الله تعالى ، فالله تعالى يأمر بالذكر فى قرآنه الكريم فإذا كان ذلك فى بيوته وفوق بيوته الطاهرة لكان حَسَنًا ، وإذا كان فى ليلة عيد المسلمين يوم الجمعة لكان أكثر حُسْنًا . فالذاكرون هم أولو الألباب الذين قال تعالى فيهم : (إن فى خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار).

هذا إذا لم يؤذ الذكر أحدًا من الناس ، ولم يكن سببًا فى مضرّة بعض المجاورين للمسجد ، أما إذا كان فيه ضرر لبعض الناس الذين يكدحون مثلا طيلة النهار فيؤرقهم الذكر ويمنعهم من النوم والرّاحة فإنه يتحتم أن يكون الذكر فى هذه الحالة بصوت منخفض ، والله سبحانه وتعالى يسمع الذاكرين على أى وضع كانوا ، ويثيبهم على قدر إخلاصهم ونياتهم .

فى الذكر بلفظ « أ هـ » وبلفظ « هو »

فى هذا الموضوع لَبْسٌ هو سبب الجدل ، فإذا ما أزيل هذا اللبس انتهى – فيما أظن – النقاش فيه والجدل :

إن لفظ « أ هـ » ولفظ « هو » من أسماء الله تعالى الواردة فى صراحة صريحة . والمتعبد إنما يردد اللفظ الأول باعتباره معبرًا عن الندم والحزن على مافات من أيام مضت ليست على مايحب ، وهو فى أثناء هذا الترداد : متذكر لله ، خائف منه ، مستغيث برحمته ، وهذه الحالة التى يجتمع فيها التأوه الحزين مع تذكر الله إنما هى نوع من التوبة ، وهى على هذا الوضع عبادة ، وهى على هذا الوضع ذكر ، فما الذكر إلا التذكر وهو حاصل فى هذه الحالة ، وهذه الحالة لاينبغى لإنسان أن يقول عنها إنها محرمة .

أما المتعبد الذى يردد اللفظ الثانى فتصوير حاله على ماينبغى أن يكون هو أنه يقدر عظمة الله وجلاله ، ويقف موقف المستشعر الرهبة منه سبحانه فلا يجرؤ على النطق باسمه وإنما يعبر عنه بلفظ

(هو) أى بالضمير الذى يشير ولايصرح ، فلفظ هو وإن لم يكن من أسماء الله سبحانه فإنه فى ذهن العابد وفى ضميره يراد منه الله سبحانه ، وهذه الحالة من الخشية التى تغمر العابد فترة من الزمن فتجعله لايجرؤ على النطق باسم الله الصريح . إنما هى من أسس الشعور الدينى ، ولاينبغى لأحد أن يحرمها .

والواقع أن الجهل الذى يسود جو المتخاصمين فى هذه المسائل مثبتين كانوا أو منكرين هو الأساس فى إثارة الجدل ، وهو الأساس فى استمرار النزاع .

والبيان الذى بيناه فى هذا الموضوع كفيل برد الأمر إلى نصابه ، وكفيل إذا حسنت النوايا برفع الجدل فى هذا الموضوع .

فى صيغ الصلاة على الرسول ﷺ

إن الله سبحانه وتعالى وضع مقاييس للنجاة فى الآخرة ، ولرضائه فى الدنيا والآخرة .

وهذه المقاييس ذكرها فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة الشريفة ذكرها موجزة أحيانًا ومطولة مستفيضة أحيانًا أخرى .

من ذلك مثلا قول الله تعالى : (من عمل صالحًا من ذكرٍ أو أنثى) الآية . ومن ذلك قوله : (ومن يتق الله يجعل له مخرجًا)

وقد اشترط الله سبحانه وتعالى دائمًا الإيمان والعمل الصالح أو الإيمان والتقوى .

وتبتدئ التقوى بالتوبة الخالصة النصوح ، والإخلاص الكامل لله فى الأعمال وفى النية ، وحديث النية مشهور (إنما الأعمال بالنيّات . . . . إلخ) . . . ومع التوبة الخالصة النصوح الأعمال :

والأعمال فروض وواجبات وسنن مستحبة وأوامر الله سبحانه وتعالى ليست فروضًا فحسب ، وإنما هى نواهٍ أيضًا ، إن الإسلام حدد الفضيلة والمعصية ، والتقوى التى اشترطها الله سبحانه وتعالى للنجاة هى بعد الإيمان ، العمل بالفضيلة واجتناب الرذيلة ، فمن اتبع ذلك نجا ، ومن انحرف عن ذلك وخالفه دخل النار بنسبة انغماسه فى الرذائل وتركه الفضائل .

ولو كانت صيغة واحدة فى الصلاة على الرسول ﷺ تكفى فى النجاة مهما عمل الإنسان فإن ذلك يكون هدفًا لجميع قوانين الله سبحانه وتعالى وشرائعه .

وكل من يقول بمثل هذه المزاعم التى تلغى الشرع وتبطل الأعمال التى حددها الدين فإنه يكون

آثمًا ، وعلى ذلك فإن من قال صيغة من صيغ الصلاة على رسول الله مَنْ قالها مرة فى عمره لم تمسه النار ، هذا الكلام غير صحيح ومن يقوله يكون مرتكبًا للمعصية وللإثم .

ومامن شك فى أن الصلاة على الرسول ﷺ لها ثوابها الحسن وفوائدها الكثيرة ولكنها على أى صيغة لاتلغى الفروض والواجبات التى هى سبب النجاة .

فى دعاء الرسول ﷺ

استفتاح الدعاء واسم الله الأعظم :

عن عبيد الله بن بريده عن أبيه رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله ، لاإله إلاّ أنت الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، فقال :

لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذى إذا سُئل به أعطى ، وإذا دُعى به أجاب رواه الترمذى وحسنه ، وقال الحافظ أبو الحسن المقدسى : إسناده لامطعن فيه ، ولم يرد فى هذا الباب حديث أجود إسنادًا منه .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمع النبى ﷺ رجلا وهو يقول : « ياذا الجلال والإكرام » .

فقال : « قد استُجِيب لك فَسلْ» رواه الترمذى .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مرَّ النبى ﷺ بأبى عبّاس زيد بن الصامت الزّرقى ، وهو يصلى ويقول .

اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد ، لاإله إلاّ أنت ، ياحنّان ، يامنّان ، يابديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والإكرام ، ياحى ياقيوم .

فقال رسول الله ﷺ :

لقد سألت الله باسمه الأعظم الذى إذا دُعِىَ به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذى النون إذْ دعاه وهو فى بطن الحوت لاإله إلاّ أنت سبحانك ، إنى كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها مسلم فى شىء قط إلا استجاب الله له . . رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد . هـ

فى قول الله تعالى

(وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أُجيب دعوة الدّاعِ إذا دعان)
وقوله تعالى : (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) .

* * *

هذه الآيات وغيرها فى القرآن الكريم لم تحدد وقتًا معينًا للدعاء أو مكانًا ، له وإنما أطلقت إطلاقاً ، والواقع أن الدعاء مستحب فى كل الأوقات ، لأنه تضرع إلى الله ورجوع إليه فى الاستعانة وتحققاً بقوله تعالى : (إيّاكَ نستعين) ، والأوقات التى بعد الصلاة من الأوقات الشريفة التى يُرجَى استجابة الدعاء فيها . عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قيل يارسول الله أى الدعاء أسمع ؟ قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات ، وهذا الحديث الشريف الذى رواه الإمام الترمذى يحث على انتهاز الدعاء بعد الصلوات المفروضة ، لأنه أرجى فيما يتعلق بالإجابة فعلى المسلم أن يدعو الله كلما شرح الله صدره للدعاء ، وخصوصًا فى أجوف الليل وفى دبر الصلوات المكتوبات .

فى ظروف وأمكنة الدعاء

يقول الله تعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أُجيب دعوة الدّاع إذا دعان) ، وقوله سبحانه : (ادعونى أستجب لكم) .

ولإجابة المطالب ظروف ، وأمكنة تُهيِّأُ لها ، فرحمة الله قريب من المحسنين ، والإحسان إذًا من الحالات التى تكون أرجى لقبول الدعاء والله تعالى إنما يتقبل من المتقين ، والتقوى من هذه الحالات التى تكون أرجى لإجابة الدعاء ويقول الرسول صلوات الله عليه : أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا من الدعاء فقمن (أى جدير) أن يُستجاب لكم . . وقد ورد أن الأزمنة التى يكون الدعاء فيها أقرب إلى أن يُستجاب هى : مابين الأذان والإقامة ، وفى السفر ، وعند نزول المطر ، وعند الإفطار من الصيام ، أما الأمكنة التى تهيئ للاستجابة أيضًا فهى الأمكنة الظاهرة كالمسجد الحرام ، والحرم النبوى ، وفى رحاب الصالحين أحياء كانوا أم أمواتا .

أما فيما يتعلق بالنذور فالإنسان فى هذه الحالة الظاهرة يستشفع إلى الله بإحسانه وبتقواه وبعمله

الصالح على وجه العموم ، ويقدم النذور لله سبحانه وتعالى : فالنذور لغيره لاتجوز ، وهذه النذور التى توضع فى صناديق الأضرحة إنها صدقة للفقراء والمساكين ، يجب أن تصرف إليهم ، وهى أساس قوى لإزالة كثير من البلاء ولإجابة الله سبحانه وتعالى مطالب الخير : يقول صلوات الله عليه ، حصنوا أموالكم بالزكاة وداوَوْا مرضاكم بالصدقة ، ودافعوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع .

فى صيغ الدّعاء من السنة الشريفة

عن أبى هريرة رضى الله عنه – فيما أخرجه الحاكم ، والإمام أحمد ، والترمذى – عن النبى ﷺ قال :

« ليس شىء أكرم على الله من الدعاء » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ، ونور السمٰوات والأرض » وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ :

(وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) ، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) .

وروى عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذى : وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ماعلى الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلاّ آتاه الله تعالى إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم » . فقال رجل من القوم :

« إذن نكثر » ! فقال : الله أكثر » رواه الترمذى والحاكم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مامن مسلم ينصب وجهه لله عز وجل فى مسألة إلا أعطاها إيّاه ، إما أن يعجلها له ، وإما أن يدخرها له فى الآخر » رواه أحمد رضى الله عنه وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « عبدى إنى أمرتك أن تدعونى ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعونى – فيقول نعم يا رب » ! .

فيقول : أما إنك لم تدعنى بدعوة إلاّ استجبت لك ، أليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغمّ نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك ؟ فيقول نعم يارب .

فيقول : إنى عجلتها لك فى الدنيا .

ودعوتنى يوم كذا وكذا لغمّ نزل بك أن أفرّج عنك فلم تر فرجًا ؟ قال : نعم يارب : فيقول : إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا ، ودعوتنى فى حاجة أن أقضيها لك فى يوم كذا وكذا فقضيتها فيقول : نعم يارب .

فيقول : إنى عجلتها لك فى الدنيا :

ودعوتنى يوم كذا وكذا فى حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها ، فيقول نعم يارب : فيقول إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا ، قال رسول الله ﷺ :

« فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلاّ بيّن له : إما أن يكون عمل له فى الدنيا وإما أن يكون ادّخر له فى الآخرة ، قال : فيقول المؤمن فى ذلك المقام :

« ياليته لم يكن عجّل له شيء من دعائه :

وإذا أردت استجابة الدعاء فابدأ :

١ – بالتوبة الخالصة النصوح .

٢ – وتحرّ الحلال .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما فيما أخرجه الحافظ بن مردويه ، تليت هذه الآية عند النبى ﷺ : (يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبًا) .

فقام سعد بن أبى وقاص فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة .

فقال : « ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه مايُتقبل منه عمل أربعين يومًا ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والرّبا فالنار أوْلى به » .

ومن صيغ الدعاء المباركة التى دعا بها رسول الله ﷺ مانقلته كتب السنة الشريفة :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » رواه مسلم .

وعن بن حوشب قال : قلت لأم سلمة رضى الله عنها ، يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك ؟

قالت : كان أكثر دعائه .

يامقلّب القلوب ثبّتْ قلبى على دينك .

وعن أبى الفضل العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله : علمنى شيئًا أسأل الله تعالى : قال : سلوا الله العافية فمكثت أيامًا ثم جئت فقلت يارسول

الله : علمنى شيئًا أسأله الله تعالى قال لى : عباس ياعم رسول الله سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة .

رواه الترمذى .

فى الذكر والدعاء بغير المأثور

ويصح الذكر والدعاء بغير المأثور والأحاديث التالية دليل على ذلك فى جانبى الذكر والدعاء ، عن أنس رضى الله عنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا فى الحلقة ، إذْ جاء رجل فسلم على رسول الله ﷺ والقوم ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد الرسول ﷺ . وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

فلما جلس الرجل قال : « الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، كما يحب ربنا أن يُحمَد وينبغى له » . فقال رسول الله ﷺ ، كيف قلت ؟ فرد عليه كما قال . فقال : النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده ، لقد ابتدرها عشرة أملاك ، كلهم حريص على أن يكتبها فما دروا كيف يكتبونها حتى رفعوها إلى ذى العزة ، فقال اكتبوها كما قال عبدى » رواه أحمد ورواته ثقات ، والنسائى ، وابن حبان فى صحيحه إلا أنهما قالا : كما يحب ربنا ويرضى(١٥٠)

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فيما رواه الإمام أحمد وابن ماجه ، أن رسول الله ﷺ : « حدثهم أن عبدًا من عباد الله قال : يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك »

لم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا إلى السماء ، فقالا : ياربنا إن عبدك قد قال مقالة لاندرى كيف نكتبها ؟

قال الله ، وهو أعلم بما قال عبده ، ماذا قال عبدى ؟

قالا : يارب إنه قال : « يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك » فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها .

---

(١٥٠) انظر الترغيب والترهيب (كتاب الذكر والدعاء) .

فى آداب الدعاء

يذكر الإمام الغزالى آدابًا للدعاء منها : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة : كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل ، قال تعالى : (وبالأسْحارِ هم يستغفرون) .

وقال ﷺ :

« ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل : من يدعونى فأستجيب له ؟ : من يسألنى فأعطيه ؟ « من يستغفرنى فأغفر له » ومنها أن يغتنم الأحوال الشريفة . قال أبو هريرة رضى الله عنه : إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله ، وعند نزول الغيث ، وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها .

وقال مجاهد : إن الصلاة جعلت فى خير الساعات ، فعليكم بالدعاء خلف الصلوات .
وقال ﷺ الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُردّ وقال ﷺ أيضًا : (الصائم لاترد دعوته)
ويتابع الإمام الغزالى حديثه فيقول .

وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضًا ، إذْ وقت السّحر وقت صفاء القلب وإخلاصه ، ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتمادى القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل .

فهذا أحد أسباب شرف الأوقات ، سوى مافيها من أسرار لايطّلع البشر عليها ، وحالة السجود أيضًا ، أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال النبى ﷺ :

أقرب ما يكون العبد من ربه عزَّ وجلَّ وهو ساجد ، فأكثِروا فيه من الدعاء ، وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال :

« إنى نُهيت أن أقرأ القرآن راكعًا وساجدًا ، فأما الركوع فعظموا فيه الرّب ، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فَقِمن أن يُستجاب لكم » .

فى كيف يدعو الإنسان ربه لأنه تعالى يقول

(وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الدّاعِ إذا دعان)

أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالدعاء والابتهال والتضرع إليه فى كل وقت وحين ، ووعدهم على ذلك بالإجابة فقال : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أُجيب دعوة الدّاعِ إذا دعان) وقال : (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : الدعاء مخ العبادة ، ومن لم يسأل الله يغضب عليه ، والدعاء له آداب ينبغى على الدّاعى أن يراعيها ليكون دعاؤه أرجَى للقبول ، ومن هذه الآداب :

١ – أن يتحرى الحلال فى مأكله ومشربه ، لقول سعد بن أبى وقاص : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال : ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة .

٢ – استقبال القبلة إن أمكن .

٣ – تحرى الأوقات الفاضلة كيوم عرفة ، وشهر رمضان ، ويوم الجمعة والثلث الأخير من الليل ، والسجود ، وبين الأذان والإقامة ، وعقب الصلوات ، فإن هذه أوقات يستجاب فيها الدعاء .

٤ – رفع اليدين إلى الله سبحانه وتعالى ، فإن الله لايردها خائبتين .

٥ – حضور القلب وإظهار الخشوع والضراعة والتذلل إلى الله عز وجل ، مع خفض الصوت كما قال تعالى : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لايحب المعتدين)

٦ – البدء بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، لقول النبى ﷺ إذا صلى – أى دعا – أحدكم فليبدأ بتحميد ربه عز وجل والثناء عليه ثم يصلى على النبى ﷺ ثم يدعو بما شاء .

٧ – أن يدعو الإنسان بغير إثم أو قطيعة رحم وألا يستبطئ الإجابة ، وأن يختار المأثور من القرآن والسنة النبوية الشريفة ، مثل قوله تعالى :

(ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) .

وقوله ﷺ : اللهم إنى أسلك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

فى هل يجب أن يُقرأ الدعاء بعد صلاتى الفجر والمغرب ؟

مذهب الشافعية أن القنوت فى صلاة الصبح بعد الركوع من الركعة الثانية سنة رواه الجماعة إلا الترمذى عن ابن سيرين ، أن أنس بن مالك سئل :

هل قنت النبى ﷺ فى صلاة الصبح فقال : نعم . . فقيل له : قبل الركوع أو بعده ؟ قال : بعد الركوع . ولما رواه أحمد والبزار والدارقطنى والبيهقى والحاكم وصححه عنه قال : مازال رسول الله ﷺ يقنت فى الفجر حتى فارق الدنيا . أما فى صلاة المغرب فلا قنوت فيها إلا عند النوازل ، فإنه شرع القنوت فيها وفى غيرها من الصلوات .

روى أبو داود وأحمد عن ابن عباس قال : قنت الرسول ﷺ شهراً متتابعاً فى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح فى دبر كل صلاة إذا قال : سمع الله لمن حمده ، من الركعة الأخيرة يدعو عليهم ، على حى من بنى سليم : على رعل وذكوان وعصيه ويؤمن من خلفه ، وكان قد أرسل إليهم جماعة من الصحابة يدعونهم إلى الإسلام فقتلوهم .

أما الأحناف فإنهم يقنتون فى الوتر فى الركعة الثالثة قبل الركوع لما رواه الإمام أحمد وغيره بإسنادهم عن الحسن بن على رضى الله عنه قال . علمنى رسول الله ﷺ ، كلمات أقولهن فى الوتر .

« اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، فإنك تَقضى ولا يُقضى عليك ، وإنه لا يذِلُّ من واليت ، ولا يعِزُّ من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، وصلى الله على النبى محمد .

فى دعاء الوالدين

دعاء الوالدين مستجاب إذا صدر بسبب عقوق من الولد أو إساءة أدب أو ما إلى ذلك ، فإذا أدَّى الولد حق أبيه ، فلا شىء عليه بعد ذلك ، دعا الوالد له أو دعا عليه ، لأن الله سبحانه وتعالى : قد وضع لنا مقاييس الخير ومقاييس الشر ، وعلى أساس هذه المقاييس يكون الحساب .

وقد يخطئ بعض الناس فى استغلال حقه فيسئ إلى من أحسن إليه أو لا يقنع بما يقدم إليه . . ومثل هذا لا يستجيب الله له دعاء على مَنْ أحسن إليه ، بل قد يتحول دعاؤه على غيره إلى دعاء عليه ، يصيبه شره ولا يتحقق له عن طريقه أى خير .

والدعاء على « الغير » لا يقبل إلا إذا كان صادراً عن إحساس بظلم صادر منه ، لأن الله تعالى عدلٌ لا يقبل الظلم ، وقد أنذر الظالمين وفتح للمظلومين باب الانتصار بالقول والفعل وبالدعاء ، وفى الحديث الصحيح : ثلاثة لا تردُّ دعوتهم . وذكر الرسول ﷺ منهم دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويقول : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين ، والسائلة تعلم من نفسها إذا كان دعاء والدها له سبب مقبول أم لا : فإن كانت تسىء إلى حقه أو تقصر فيما يجب عليها نحوه فعليها أن تتوب إلى الله من ذلك ، وأن تستسمح والدها ، وأن تسرى عنه وتطلب منه الدعاء لها .

وإن لم يكن منها شىء من ذلك استمرت فى أداء واجبها نحوه ولا عليها بعد ذلك دعا أم لم يدعُ . لأنها أدت حق الله عليها . .

وحق الوالدين معلوم من الدين بالضرورة ، ولهما الحق أحياءً وأمواتاً . . ومن الممكن بوسائل المقدرة تفريج همومها والوصول إلى حبها ، والابتعاد عن كل ما يسبب غضبها .

وعلى كل فالمدار على حسن المعاملة والوفاء بالحق والواجب ، والسير على أساس من الخوف من الله ، والرغبة فى الوصول إلى رضاه .

فى التوبة هل تمحو الذنوب كلها

نعم فإن رحمة الله بعباده التائبين واسعة والله تعالى يقول : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) ويقول سبحانه : (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) .

غير أن التوبة لابد أن تكون نصوحاً ، عسى الله أن يقبلها فيكفِّر الذنوب ويعفو عن السيئات .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ، إنك على كل شىء قدير) .

ومن شروط التوبة النصوح الندم ، والإقلاع عن المعاصى كلها ، وردّ الحقوق لأصحابها وعدم العودة بما يغضب الله سبحانه ، والإكثار من الأعمال الصالحة صلاة وذكرًا وصومًا وصدقة ، وأداء الفرائض كلها ، وتقربًا إلى الله بالنوافل وألا يراه الله حيث نهاه ، وأن يفقده حيث أمره ، فعسى الله أن يقبله ويبدل سيئاته حسنات ، والله تعالى يقول : (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) ويقول سبحانه : (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحًا

فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ،وكان الله غفورًا رحيمًا . ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى الله متابًا . . .)

فى التوبة والشباب

إذا خلصت منه النية وصح منه العزم وكانت توبته الأخيرة توبة نصوحًا وذلك بالندم على ما فعل وعدم العودة إليه والإكثار من طاعة الله ، والإقلاع عن جميع المعاصى صغيرها وكبيرها والإخلاص لله فى العبادة ، ومراقبته فى السر والعلن فإنا نرجو أن يقبل توبته وأن يعفو عن سيئاته ، قال تعالى : (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) ، وقال تعالى : (إن الحسنات يذهبن السيئات) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحًا ، عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير) .

هذا ونكرر النصح لشبابنا ، ونهيب بهم أن يقلعوا عن ممارسة « العادة السرية » فإنها مقيتة تودى بالصحة ، وتضعف الدين ، وتعقب الندامة ، وهى كما قررنا فى مقالة سابقة يشملها التحريم المأخوذ من قوله تعالى : (والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) .

وعلى الشباب الذين لا يستطيعون الزواج أن يصرفوا ما عندهم من الطاقة فى طاعة الله سبحانه وتعالى – صلاة وصيامًا وذكر الله وتسبيحاً ، وعليهم أن يتساموا بغرائزهم فيصرفوها فيما يعود عليهم وعلى وطنهم بالنافع المفيد .

فى ماذا يفعل الإنسان الذى يبتليه الله بمصائب ومتاعب مع أن سلوكه طيب ويفعل الخير

الحياة الدنيا دار ابتلاء بالمتاعب والمصائب ، ولم يسلم من ابتلائها أحد حتى الأنبياء ، وليس ذلك دليلا على غضب الله أو عدم رضاه عن العبد ، لأن الله جعل المصائب اختباراً أو امتحاناً ، قال تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصّابرين ونبلو أخباركم) وعلى الإنسان الذى

يُبتلى فى حياته أن يصبر لينال أجر الصابرين ، قال تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)

ومن كان يفعل الخير ويؤدى الطاعات وهو مُبتلًى – مع ذلك – بالمصائب قد يكون ذلك على محبة الله تعالى له ورضائه عنه كما روى فى الحديث : « إذا أحب الله عبدًا ابتلاه حتى يسمع تضرعه » .

ولقد مدح الله أيوب على صبره على ابتلاء الله ، وقال فيه :

(إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أوّاب) وقال عليه السلام : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل :

وليس هناك من باب للفرج وإزالة البلاء إلا باب الله سبحانه ، وإلا الالتجاء إليه والدعاء ، وقد ذكر رسول الله ﷺ أن الدعاء يرفع البلاء ، وأنه ينفع فيما نزل من البلاء ، وفيما لم ينزل ، والتضرع إلى الله سبحانه باب عظيم من أبواب الفرج .

فى هل الصدقة والدعاء والقراءة تنفع الميت ؟

إنَّ الصدقة والدعاء والاستغفار للميت ينفعه ، وكذلك العلم الذى تركه بالإجماع ، وأما تلاوة القرآن فالأحسن فيها الدعاء للميت والترحم عليه والاستغفار له .

قال ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث صدقة جارية ، وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له» رواه مسلم .

فى ماحكم الدعاء للميت بعد الصلاة عليه وقبل دخوله إلى القبر ؟

إن الدعاء للميت قبل الصلاة عليه وقبل دخوله القبر وبعد دخوله القبر جائز ، بل مستحب ، لأن الميت إنْ كان مُذْنِبًا وهو من المسلمين فهو محتاج إلى الدعاء ليغفر الله له ذنوبه ، ويعامله بلطفه ، ويسبغ عليه من رحمته ، وقد دعا الأنبياء للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات – أحياءً وأمواتًا – وقال تعالى فى سورة نوح :

(ربِّ اغفر لى ولمن دخل بيتى مؤمناً ، وللمؤمنين والمؤمنات) بل إن الله سبحانه وتعالى ، أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالاستغفار للمؤمنين أحياء وأمواتًا فقال تعالى : (فاعلم أنه لا إله إلاّ الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلَّبكم ومثواكم) . سورة محمد : ١٩

وهذه الآية الكريمة تعليم للأمة وتوجيه لها إلى الدعاء لموتاها المؤمنين تأسيا برسول الله ﷺ .
فالدعاء للميت – مطلقًا وفى أى وقت كان – جائز بل مستحب .

فى أدعية تفريج الكرب وجلب الرزق وسداد الديون

هناك أدعية لتفريج الكرب وجلب الرزق وتسديد الديون وماإلى ذلك . وفيما أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه كان يقول : اللهم إنى أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغِنى .

وكان ﷺ يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك » .

وصفات عباد الرحمن فى القرآن الكريم يعبر عنها قول الله سبحانه : (والذين يقولون ربنا هَبْ لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرَّة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا) ويرى بعض الناس أن هذه الأدعية الصحيحة وما يماثلها يمكن للإنسان أن يجعلها فى حرز مانع من القماش أو الجلد ، وأن يعلقها على جسمه فيقوم تعليقها مقام الدعاء بها .

وقد روى أحمد والحاكم والطبرانى – رجاله ثقات – أن رسول الله ﷺ قال : من علق ودعة فلا ودع الله له ، ومن علق تميمة فلا تمم الله له ، والودعة شىء يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين ، والتميمة خرزات تعلق على الأولاد بحمايتهم من ضرر العين. قال ابن حجر : محل ماذكر من الخبر وماقبله تعليق ماليس فيه قرآن ونحوه ، أما مافيه ذكر الله ونحوه فلا نهى عنه ، فإنه إنما جُعل للتبرك والتعوذ بأسمائه . وعلى ذلك فلاشىء فى تعليق مافيه ذكر وقرآن إذا كان فى حِرْز مانع من قماش أو جلد بقصد استجلاب الرزق ، وأما إن كان فيه شىء غير الذكر فلا يجوز تعليقه وسيكون سببًا فى تحصيل مايخالف الغرض المقصود منه .

فى الدعاء على « الغير » دون حق

إن الدعاء على « الغير – دون حق ولاسبب – غير مقبول ، ولايستجاب لفاعله ، بل إن فاعله بفعله هذا اكتسب خطيئة ومعصية واحتمل بذلك بهتانًا وإثمًا . يقول الله سبحانه : (ومَن يكسب خطيئةً أو إثمًا ثم يرم به بريئًا فقد احتمل بُهتانًا وإثما مبينًا) فالدعاء على « الغير » دون

سبب – إثم وقطيعة رحم كما أخبرنا بذلك الشّارع المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا يزال يُستجابُ للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » .

وحسب الداعى على غيره دون سبب من الشرّ والإيذاء رجوع الدعاء إليه واستعجال نزول العقوبة به ، فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء فتُغْلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها . ثم تأخذ يمينًا وشمالا ، فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلى الذى لعن ، فإن كان أهلا لذلك ، وإلا رجعت إلى قائلها ، رواه أبوداود .

وكما أنه كان منْ محض عدل الله سبحانه أنه لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها فإن من محض عدله تعالى أيضًا أن جُعل ظهيرًا وعوْنًا للمظلوم .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رجلا قال يا رسول الله : إن لى قرابة أَصِلُهُم ويَقْطَعُونى ، وأُحسن إليهم ويُسيئون إلىَّ ، وأحلم عنهم ويجهلون علىَّ ، فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفّهم الملَّ ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك . رواه مسلم .

فى سؤال يقول : يقول الله سبحانه

(وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الدّاعِ إذا دعانِ) وأنا أدعو الله ولايستجاب لى فكيف ذلك ؟

يقول الله سبحانه وتعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الدّاعِ إذا دعانِ) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ليس شىء أكرم على الله من الدعاء ، بل إن للدعاء دخلا فى تلطيف القضاء أو تخفيفه ، أو عفو الله سبحانه ، فلقد روى الترمذى عن سيدنا سَلْمان الفارسى : أن رسول الله ﷺ قال : لايردّ القضاء إلا الدعاء ، ولايزيد فى العمر إلا البرّ .

إذن فالدعاء مطلوب وعلى كل مسلم أن يضرع إلى الله سبحانه ويتجه إليه وحده .

فهو الذى يعطى ويمنع ويجيب المضطر إذا دعاه .

ولأجل أن يكون الدعاء مقبولا ومستجابًا لابد من :

١ – التوبة الخالصة النصوح .

٢ – ولابد من تحرّى الحلال .

٣ – عدم الدعاء بما فيه إثم أو قطيعة رحم .

٤ – والشرط الأساسى هو أن يحقق الإنسان العبودية لله سبحانه ، فإذا تحققت هذه الشروط من الداعى فلاريب أن الدعاء يستجاب منه ويعطى سؤاله .

علينا أن نتدبر الحديث التالى : عن ابن عباس – قيل أخرجه ابن مردويه – تُليت هذه الآية عند النبى ﷺ : (يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبًا) ، فقام سعد بن أبى وقاص فقال : يارسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال : يا سعد : أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف الحرام فى جوفه مايُتقبل منه أربعين يومًا ، وأيّما عبد نبت لحمه من السُّحْت والرّبا فالنار أوْلى به .

ولقد بين رسول الله ﷺ : فيما يرويه عن ربه الشروط التى إذا تحققت كانت استجابة الدعاء مضمونة ، وكانت مؤكدة ، فعلى مَن يريد استجابة دعائه أن يحققها فيضمن الاستجابة .

فى عدم اهتمام بعض الأئمة والعلماء بالدعاء

الدعاء ليس له وقت من الأوقات وإنما يكون فى أى ساعة من النهار أو الليل ، مثل قبل الصلاة وبعدها .

وليس له صيغة معروفة وإنما أى لفظ يؤدى إلى المعنى المراد به الدعاء على شرط أن يكون مستوفيًا للشروط التى تشترط فى الدعاء ، من الأكل الحلال ، والمطعم الحلال ، والملبس الحلال ، فالله سبحانه وتعالى يستجيب هذا الدعاء يقول الله تعالى فى محكم كتابه : (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) وقال تعالى : (قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم) .

ويقول : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وقال تعالى (واسألوا الله من فضله) وإن الذين يقولون عليك بالدعاء وحدك فى بيتك مخطئون .

والدعاء يكون بالجماعة والواحد سواء والجماعة أفضل ليعلم الجاهل رأى الدين الإسلامى فى ذلك أن الدعاء عام للجميع ، فى البيت ، والمصنع ، والمزرعة ، والعمل ، وفى كل شىء ، فالدعاء مطلوب ويستحب وهو مخ العبادة .

فى هل تقبل توبة المذنب وهو على فراش الموت ؟

نعم تقبل التوبة عن المذنب وهو على فراش الموت مالم يُغَرْغِرْ ، إذا كانت توبته نصوحًا اجتمع فيها الأمر برد المظالم إلى أهلها ، والندم على مافرط منه ، والعزم على ألاّ يعود إلى معصيته أبدًا إن كان ذنبه بسبب اغتصاب حق لآدمى ، أمّا إن كان ذنبه يتعلق بحق من حقوق الله فشروط توبته الإقلاع عن معصيته ، والندم على مافرط منه ، والعزم على ألاّ يعود إلى ما ارتكبه من الذنوب أبدًا . قال تعالى (قل ياعبادىَ الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ، إنّ الله يغفر الذنوب جميعًا إنَّهُ هو الغفور الرّحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أنْ يأتيكم العذاب ثم لاتُنصرون) وقال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه من الدنيا لاإله إلاّ الله دخل الجنة » .